

السنن الإلهية في معركة طوفان الأقصى

عباد الله: إن السنن الإلهية كلية من كليات الدين و هي عادة الله تعالى مع خلقه بحيث يقع للثاني ما وقع للأول بناء على فعله قال - سبحانه -: « فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا »

عباد الله : من السنن الإلهية التي تجلت في مشهد طوفان الأقصى:

● **سنة التدافع** : ولولا هذه السنة لاختلطت الأمور وفسدت الأرض، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد، كما عبر القرآن الكريم في موضعين.

قَالَ سَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ: وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارَ عَنِ الْفُجَارِ وَالْكَفَّارِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، أَيْ هَلَكَتْ. وَذَكَرُوا حَدِيثًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ الْعَذَابَ بِمَنْ يُصَلِّي مِنْ أُمَّتِي عَمَّنْ لَا يُصَلِّي وَبِمَنْ يُزَيِّي عَمَّنْ لَا يُزَيِّي وَبِمَنْ يَصُومُ عَمَّنْ لَا يَصُومُ وَبِمَنْ يَحُجُّ عَمَّنْ لَا يَحُجُّ وَبِمَنْ يُجَاهِدُ عَمَّنْ لَا يُجَاهِدُ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا أَنْظَرَهُمُ اللَّهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ- ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ".

وفي معركة طوفان الأقصى تتجلى هذه السنة، وإلا فإن الأرض لا تتحرر بالسلام والوئام وتقسيم الأرض، وإنما بالجهاد، والجهاد وحده، فلا عز إلا بالجهاد، وما ترك المسلمون الجهاد إلا ضرب الله عليهم الذل حتى يرجعوا إلى دينهم.

● **سنة الأخذ بالأسباب**: إن مقاومة المحتل لابد لها من الأخذ بالأسباب، وذلك يكون

بإعداد القوة اللازمة لمقاومة هذا المحتل وتحرير الأرض والمقدسات، وقد يتحقق

النصر لكن لا يتحقق التمكين، فسنة التمكين لها قوانينها ومعالِمها.

ونحن نرى بإذن الله تعالى أن معركة طوفان الأقصى قد تحقق فيها النصر للمسلمين بالفعل وهم بهذه المعركة في طريق التحرير الذي بدأت تلوح بشائره في الأفق، فقد كنا نستبعد التحرير أو اقترابه، لكن معركة طوفان الأقصى جعلت النصر ممكناً، والتحرير في الأفق بادياً. تلك السنن التي أقام الله عليها الحياة والأحياء، والكون جميعاً.

● **سنة الإملاء والاستدراج للكفار والمنافقين:** قال تعالى: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما**

نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِإِزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) وقال سبحانه:

(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسْرِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ)

نراهم يزدادون يوماً بعد يوم في الظلم والبطش والكبرياء كما هو الحال الآن حيث ظلموا وطمغوا وقالوا بلسان حالهم ومقالهم: من أشد منا قوة .

فأمريكا والصهاينة وكل الطغاة والمستبدین هم الآن يعيشون سنة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلى

مزيد من الظلم والطغيان والغرور، وهذا بدوره يقودهم إلى نهايتهم الحتمية وهي الهلاك

والبوار قال تعالى: **(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)**

● **سنة المداولة:** وقد أشار إليها القرآن في قول الله تعالى: **{إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ**

الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وعند البخاري عن محاوراة أبي سفيان لعظيم الروم

في الشام، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرْقْلَ قَالَ لَهُ:

سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟، فَرَعَمْتَ "أَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوْلٌ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ

تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ۖ"

والمعركة اليوم مع اليهود المحتلين لفلسطين مفتوحة، والصراع مستمر، وطريق التحرير طويل، والتضحيات جسام، لكن العاقبة محمودة، والنتيجة مضمونة، كما قال موسى لقومه: **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**. أو كما قال الله لخليله محمد -صلى الله عليه وسلم- **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**

حكم وألطف إلهية:

ومن الحِكم العظيمة والألطف الإلهية التي ظهرت لنا في أحداث غزة في ضوء هذه السنة الربانية؛ ما يلي:

- أولاً: ظهور المنافقين المندسين في الصفوف سواء أكان ذلك في صفوف الفلسطينيين أو خرجها، وهذه رحمة بالمسلمين، حيث انكشف أمرهم، وافتضح نفاقهم وخيانتهم، وبذلك يخنرهم المسلمون ويمقتونهم ويُعرّونهم.
- ثانياً: تعرّف المجاهدين أنفسهم على بعض الآفات والهئات الكامنة في نفوسهم، وعلى قوة صبرهم وثباتهم، وكل هذا لم يكن ليُعرف وينقذ زناده لولا هذه الابتلاءات والتمحيصات.
- ثالثاً: ظهر في الأحداث معرفة الولي المناصر من العدو والمخذل، وفي هذا خير للمجاهدين هناك؛ حيث تميز لهم الموالي من المعادي، وذلك على مستوى الأفراد والهيئات والحكومات.